

محمد العتّابي

# هروب الرّيح من مدن الحجارة

شعر

أنا العربيّ أسلمنا لبلادنا أنا لهي  
أنا لهي أنكي فالعكس  
الموأي نواس فاعا  
العصا في فعا لكي الهاريس  
المسكور فسا **البحر** العربي  
المسكوب الذي علق على  
والبيبي يي يراعي الكو  
والسنة أنا العربيّ في كل  
في الأوصان أو رتعا في

مكتبة

منشورات تكوين | نبوءات  
TAKWEEN PUBLISHING



**هروب الريح  
من مدن الحجارة  
شعر**

محمد العتّابي

مكتبة

t.me/soramnqraa

# هروب الريح من مدن الحجارة شعر

نبوءات

منشورات تكوين  
TAKWEEN PUBLISHING



الكاتب: محمد العتّابي  
عنوان الكتاب: هروب الريح من مدن الحجارة

رؤية ولوحة الغلاف: الشاعر جعفر العلوي  
تصميم الغلاف: يوسف العبدالله  
تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 3-11-723-9921-978  
الطبعة الأولى - سبتمبر / أيلول - 2018  
1000 نسخة

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

منشورات تكوين  
TAKWEEN PUBLISHING



الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: + 965 98 81 04 40

بغداد - شارع المتنبى، بناية الكاهجي

تلفون: + 964 78 11 00 58 60

 publishing@takweenkw.com

 takweenkw

 www.takweenkw.com

 @takweenKw

# تفاريص الداخل

غربةٌ أولى..

أرقُّ ينزفُ على عينيك

- ميناءٌ يتنفّسُ شهوةَ الإبحار ..... ٩
- أنا الغريب ..... ١٥
- رغيْفٌ يسرقُ اللهب ..... ٢١

غربةٌ ثانية..

قمرٌ وحيدٌ يسحبُ الموجَ من خاصرته

- ذئبُك المنسي في المعنى ..... ٢٩
- مذكرات رجل المشرحة ..... ٣٣
- نردٌ في احتمالات الظل ..... ٤١

غربةٌ ثالثةٌ..

يسقي نخلةً يُصلب عليها

- تصاريفُ الغربة ..... ٤٩
- يسأل كمن لا يجيب ..... ٦٣
- ارتحالٌ أخير ..... ٦٩

**غربةٌ أولى..**

**أرقُّ ينزفُ على عينيك**





# ميناء يتنفس شهوة الإبحار

(١)

كنتُ هناك يومَ غادرتِ السفينة  
يتنفسُ الميناءُ شهوةَ الإبحار  
بحارةٌ - نحتتِ الريحُ أياديهم - يسحبون المراسي

خُيِّل لي  
أنَّ وجوهَ الواقفين على الرصيف  
قاعُ هذا البحر

خُيِّلَ لي  
أنَّ هذا البحرَ  
مرأةُ الطير المهاجر

خُيِّلَ لي  
أنَّ هذه الموجة الهادرة  
تُحاول قولَ شيءٍ ما

ربما تستجدي معانقةً أخيرة  
ربما استعارت من البريد رسائله

غير أنَّ الرصيفَ عالٍ  
غير أنَّ الصوتَ لا يصل

(٢)

رأيت أكفأ بلا وجوه تلوح للمغادرين

رأيت المراسي ترتفع

رأيتُ خيالاتٍ في جوف المنارة تُشعل المصابيح

أي ضوءٍ ذاك الذي يأنسُ في الظلام؟

هل يمدُّ الظلُّ يده إليك؟

من يدقُّ بابك الذي صار اليومَ شراعاً؟

وجدتُ الهواءَ أثقلَ ما يكون هنا

رأيتُ الضبابَ هنا في كل شيء

كم يشبه الضبابُ أن ترى وعينك مثقلتانِ بالدموع

كم كان الصمتُ حاضراً في صيحات الوداع؟

(٣)

عدا الشوق الذي تشمّه في جيد امرأة  
والنوارسُ التي تجيء وتذهب  
كلُّ شيءٍ موحشٌ هنا  
موحشٌ مثل تجهّم الليل  
موحشٌ مثل قميصٍ ينتظر على كرسي الفقيد  
موحشٌ مثل وجوهٍ تعجز عن تذكّرها  
موحشٌ مثل عتبة بيتٍ تظنّك تعرفه  
موحشٌ مثل كأسين ومقعدٍ وانتظار

موحشٌ وحشةٌ التفاصيل:

البلاطِ الحجري/ برودةِ الزجاج/ رائحةِ الملح/  
المقاعدِ الرطبة/ عجوزٍ يتأمل الميناء/ طفلٍ خلف  
نافذة/ أعمدةِ الإنارة/ عينين ساهمتين في الفراغ..

موحشٌ مثلَ هذي التفاصيل

لماذا تقتلنا التفاصيل؟

موحشٌ مثلكَ

مثلَ بابك الذي صار شراعاً

موحشٌ مثلي

مثل الذي لا يرى غيرَ الضباب

موحشٌ مثل ذلك الهواء الثقيل

موحشٌ مثل هذا التساؤل:

ماذا في الحقيبة التي يحملها المسافر؟

ألبوماتُ الصور/ الكوبُ المفضّل/ مجسماتٌ  
صغيرة/ شموعٌ مهداةٌ من أحبة/ سجائرُك  
التي لا توجد إلا هنا/ معاطفٌ مهيأةٌ هناك/  
كُتُبُك التي لا ترحل عنك..

كُلُّ ما يختصر السنين  
كُلُّ ما يحتوي الذكريات

هذا هو المسافر  
يحمل كلَّ شيءٍ عدا بيته والأصدقاء  
ورائحةِ الشوق في جيد امرأة

## أنا الغريب

أنتَ الغريب

لا بيتَ لك

إلا في منافي الظل

أو في هروب الريح من مدن الحجارة

أو ربما في جُرحٍ ينامُ في معصميك

ويستيقظ في ليلٍ بأكمله

لا كهفَ تأوي إليه غربتك

تمشي وحيداً..

يتركك الطريق

تمشي والغربةُ غابةٌ تُسرق الوقتَ والنوم

تمشي وأنت الغريب..

مكتبة

[t.me/soramnqraa](https://t.me/soramnqraa)

لا بيتَ لك

لا أثرَ لطول قامتك على جدران الطفولة

لا خرزَ خلف الأريكة فقدته يوماً هناك

لا شيءَ لك

لا ذكرياتٍ في المكانِ ولا الزمانِ ولا الشخوص..



«ما الذكريات؟» يسألك الغريب.

الذكرياتُ صفةٌ أمك لقهوةٍ سكبتهَا على سجادتها  
العتيقة

وابتسامةُ ابنةِ الجيرانِ وأنتِ تدسُّ رسائلَكَ في حقيبة  
المدرسة

لا شيءَ لك من كلِّ هذا يا غريب

تمشي وحيداً.. ويتركك الطريق  
يلتهمك السواد  
«ما السواد؟» يسألك البيتُ الفقيد.

السوادُ فزَعُ شمعةٍ من حريقٍ يلتهم رأسها وهي  
تتهاوى

«ما الوحدة؟» يسألك الطريقُ الذي قد ضيَّعك.

الوحدةُ شجرةٌ أعارتْ ظلَّها لليل  
بعد أن غادرها الأطفالُ للتشرّد والثلوج

أنا الغريب أيتها البلاد  
أنا الذي ودّعت ما لم أره  
أنا الذي أبكي ما لا يُمكن أن أفقده

أنا رصيفُ المواني وابن قاعات الانتظار  
أنا احتمالاتُ الغيابِ في مقاهي الهاربين  
أنا صدأُ المقعدِ المهجورِ قبالة البحرِ الغريق  
أنا الغريق

أنا المشجَبُ الذي يعلّق عليه الراحلون بيوتهم  
ولا بيتَ لي

إلا في الجوازاتِ المختومةِ بالملحِ والشمعِ

أنا الغريبُ في كل بيتِ  
الشريدُ في الأوطان  
أوربّما..

في هروب الريح من مدن الحجارة

## رغيفٌ يسرق اللهب

(١)

قد يحدث أنك في الطابور

تنتظرُ الخبز

كل شيءٍ تنساهُ هنا..

الجائعون والمتخمون والسارقون

والوجوه التي تعرفها

عدا ما تحدّق فيه:

أرقُّ ينزِفُ على عين الخبّاز

بياضٌ يحرس الفرنّ الذي يحتضن الجمر

وينام السوادُ على جدرانه

يعتريك شيءٌ ما

برودةٌ في قلبك

حرارةٌ في جوفك

يداك ترتعشان

وأرقُّ الخبّاز ينزِفُ على عينيك

(٢)

تفتحُ الكيسُ  
الرغيفُ الذي يسرقُ اللهبُ  
باردٌ  
لم يأخذُ من الفرنِ سوى قسوتهِ

(٣)

تأكل طعامك في الأماكن المعتادة

تسلك الشارع ذاته

تنام على السرير نفسه

تظنك تحلم

مستيقظ أنت

تجفل، تفرع

تهز الليل من قميصه:

قم، انهض وحدثني



الليلُ يومئ لكُ :  
هذا ليس وقتك ..

إيه أيتها المدينة  
إيه أيتها المدينةُ التي لا أعلم ما تُسمى

أخبريني عن الحزن عند الفجر؟  
وإن كنتُ لا أعلمُ أين جفّ دمعي

أخبريني عن الوردة في الخريف؟  
وإن كنتُ لا أحملُ مجرفة

(٤)

غريباً

يغرس الجفافُ أنيابه في وحدتك

كرثةٍ يلهثُ فيها الهواء

نصفُ استفاقةٍ في عينيك نحو المدى

والمدى بات وشماً في النهايات

صريعاً

لا ملاذٌ للحبِّ في فمك

لا دفءٌ للحكايا في وجوه الأصدقاء

كلُّ ما كان حياةً تبخر في ساعة الحلم

كأنَّ عناكبَ الوقت تنسجُ الوهمَ على كتفك

غريباً

هجرتك الذكرياتُ على الطريق..

**غربة ثانية..**

**قمرٌ وحيدٌ يسحب الموجَ من خاشرته**



## ذئبك المنسي في المعنى

واقفاً على الجانب المُعْتِمِ من الظل  
كضوءٍ نحيلٍ تبحث عما وراء النافذة

لا شيء غير الشحوب يسكن الغرفة  
لا الستائر مستيقظة

ولا جفنك المسدول استراح في غفوة الترحال  
ولا تجد الورق الأبيض الذي يستفزّ فيك الحبر  
ولا خلفك الجدارُ الرطب الذي لا تعلمُ إلى أيِّ  
بابٍ سيفضي..

ومثل همس الريح في الفراغ الضيق  
تنادي عليك السنابل  
لا شيء غير المناجل تسكن هذا الحقل  
لا الكوخ الذي تقرأ فيه صمت الحجارة  
ولا الحجر الذي تَشْتَمُّ فيه رائحة العطش  
لا السماء خلعت رداء الليل  
ولا الوردة تتنفس دهشة النحل

تُطارِدكَ الدُّرُوبُ  
وأنت وحدك..  
في الجَانِبِ المُعْتَمِ من الظل  
حيث شحوبُ الغُرفِ  
حيث المناجِلُ التي تسكن الحقل  
كَأَنَّكَ أنت الجِدَارُ الرطبُ،  
الجِدَارُ الذي لا يعلم أحدٌ إلى أيِّ بابٍ سيفضي..

تَنْهَشُكَ الرِّغْبَةُ فِي الغَمُوضِ

لَا تَسْمَعُ غَيْرَ عَوَاءِ الذَّبِّ الَّذِي تَوَارَى عَنْكَ فِي قَلْبِكَ

ذَبِّكَ ذَاكَ الْوَرِيدُ الْنَافِرُ فِي صَدْعِكَ

ذَبِّكَ الَّذِي يَهْدِيكَ تَمَّوَجَ الدَّخَانِ فِي فَمِكَ

ذَبِّكَ الَّذِي يَرَوِّضُ الْعَتَمَةَ فِي عَيْنِكَ

ذَبِّكَ الَّذِي يَطَارِدُكَ فِي الدَّرُوبِ الَّتِي تَهْرَبُ مِنْهَا

الدَّرُوبِ

كَأَنَّكَ كُنْتَ يَوْمًا ذَلِكَ الذَّبُّ الرَّابِضُ خَلْفَ الْجِدَارِ

ذَبِّكَ الْمُنْسِي فِي الْمَعْنَى



# مذكرات رجل المشرفة

(١)

الوعيُّ بئْرُ الصدى ..

الوعيُّ جُرْحٌ ينمو في جذورك كالرحيل

تمشي على صوتِ خيمٍ في السكون

وترتدي روحاً يمزقُها ثقلُ ذلك

ها أنتِ تعدُّ الوهم

شفتاك تشتعلان

البئرُ تومئ بالتخلي ..

النهرُ يومئ بالتخلي ..

والبحرُ قد تخلّى ..

والشمسُ منفضةُ الشعاعِ المعدني

تصهلُ تحت نحاسِها ذكرياتك

(٢)

ابسط ذراعيك ولوَّحْ

حاول أن تقصَّ الريح

خبئها تحت جَفْنِكَ الذي يخشى الحلم

حيث تجمع شتات القمح، ورائحة الفرن، حاملاً

فانوسك الداوي:

خيالات أحلامٍ تموت على راحتك

ربما كانت عينك ترتجفان

مخافة النوم الهزيل

(٣)

كان يلتحفُ البحر

مبتلعاً الملحَ دون الماء

استيقظتُ رثاه

وأصداءُ بحارةٍ غرقى يُنشدون الموت

كأنَّ أصواتهم تودّع أحلامهم

هناك هناك ..

في الضفة الأخرى ..

لم يكن سوى قمرٍ وحيدٍ يسحب الموجَ من خاصرته

ليستعيرَ نورَه الذابل

هنا الرملُ الذي كان موقداً لرقصاتهم  
في الطفولة التي طاردوا فيها حكاياتِ النوم  
هذا الرملُ لم يعدْ هنا  
ولا في الضفة الأخرى  
ما تبقىّ ..

آثارُ أقدامٍ وغناء  
هذا الرملُ لم يعدْ هنا  
هذا الطفلُ يبقىّ وحيداً  
مثلَ آثارِ قدم، مثلَ أصداٍ أغنية

حجبت الشباكُ عن زورقه الهواء  
حدّق في الشباك وعيناه مغمضتان  
صرخَ في سرّه دون صوت

«كان الماءُ يبحثُ عن الملح الذي تمرّد،  
الملح الذي يسبح في الذكريات..».

هذا ما كتبه على الورقة المتدلّية من إبهام قدمه سبباً  
للوفاة

(٤)

خطاياہ ارتجلت خطاباً من فمہ  
كانت تندفع مثل بخارٍ من مرّجل  
البؤبؤ توّسد الشبکة الرمادية للعروق  
عيناه الخائفتان مثل وجه كلبٍ مرّعب  
كانتا تريان

تريان الخطايا تكتب نفسها  
اخلع..

اخلع المعطف رغم المطر  
علّقه على المشجب الذي صدأت أيامه

عارياً..

عارياً وحدثك مثل شجر الخريف

الخريفِ الشجاع الذي يودّعُ الأقنعة

عارياً يودّع هذا الخريف

اخلعهُ اليومَ هنا

اخلعهُ في الحياة

أو بعد الموت

من يدري؟

هل ترتديه أم يرتديك؟

خطاياہ التي ارتجلتُ خطاباً من فمه

ما عادتُ تُدرکُ ما تقول؟

عيناه كانتا تريان

تريان الخطايا تكتب نفسها

ربما كانتا تريان

أو ربما..

كان الوعي بئراً للصدى



## نردُّ في احتمالات الظل

أيها الفلاح، انثرْ بذورَكَ في الحقل  
البذورَ التي تحبِّي في كُمِّها رزقك  
نردك في احتمالاتِ الحياة  
ضوءَكَ في حظوظِ الظل  
طينَكَ المعجونَ في تنورِ الشمس  
كم أنتَ رهنُ الريحِ أيها الفلاح..

رئناك مغمضتان  
وهما ترقبان تقلب النهر على ضفته  
النهر الذي يرمي فيه الصياد شباكه عند الفجر  
يُناغي الشمس في مهدها بينما تُقبل النهر قبلة الضوء  
منتظراً رعدة الأسماك  
وهو أعمى هذا النهر المشغول بالحب

هذا الحقلُ حكايتكَ  
هذا النهرُ ميراثُكَ

كانما الجوعُ لما سياًتيكما طعامُكما في الانتظار  
وأنتما في محراب العيش  
ماؤكما عطشُ التأمل

أنا مثلكما أيها الصديقان اللذان لم ألتقِ بهما  
أنا رهنُ التوحّش في قَسَماتِ المدينة  
المنذورُ لانعطافاتِ الطرق  
أرتدي عملي كلّ صباح  
عند الإشارة الحمراء، أراقبُ الهياكلَ العابرة  
كأنّ هذي الحشودَ وهي تعبرُ الشارعَ  
غبارُ المقابرِ التي كانت يوماً هنا

يقذفني المصعدُ كفقاعةٍ تَهْرُبُ من غضب البخار  
أنا في المكتبِ / المسرحِ أرمي مثلكم نردِي للآخرين  
وفي ظهري تنبتُ خيوطٌ لا أدري إلى أيِّ سماءٍ تُعلّق  
يمضي الزمانُ وكأنه اختراقُ الدبابيس لرأس الورق  
العيدُ يرفعُ قبّعتَه

جدّد ثيابك، ارتدِ ابتسامه..

وفمكُ قوسكُ الذي تشدّه قربانَ سعادة

أنا مثلكما أيها الصديقان اللذان لم ألتقِ بهما

غير أنني

ذاك الصدى الذي تَحْبِسُهُ الرمال

غير أنني

تلك الصحراء التي أراها نجمي

وَمَحْسُنِي ليلها

**غربةٌ ثالثةٌ..**

**يسقي نخلةً يُطأب عليها**





## تعاريف الغربة

(١)

أعلمُ أنّ الغربةَ شجرةٌ تظللُ روحَكَ

رأيتُ صدعاً

نهايتهُ في عينِكَ

بدايتهُ في قلبِكَ

(٢)

غريباً

كضوء أعمدة الإنارة

تمرّ الليالي الشاحبةُ عليه

باحثاً عمّا غادره

عن الفمِ والظلِّ والرائحةِ والكرسي

وما تبقى من أغاني الذاكرة

(٣)

مبتهاً

-وهو الذي لا يغريه الدعاء-

«إني أعوذ بك أيتها الحياة من أوطان الغربية

وبرودة القلب».

(٤)

كنتُ أبكي

لكني

ما كنتُ أبكيه

كنتُ أبكي ادّخارَ الألمِ في عينيه

شحبَ الغربة على جفنيه

(٥)

غريباً

يجلسُ في المقهى

والدخانُ ضيوفٌ غادرتَه

يُغمضُ جفنيه على خيالاتٍ وجوهٍ راحلة

وحيداً

في رأسه فراشاتُ المواويل / حشراتُ الطفولة /

وقبلاتٌ يهرب الدفءُ منها

غريباً

أيامه شبحُ المقاعد الخالية

تنهده المحبوسُ في صدره

صدى الصمتِ في شفثيه

(٦)

اللوحةُ تنتظر الإطار  
الزجاجُ المنشورُ حولها لن يأتي  
باردةً دون وشاح  
غريبةً عن أناملٍ تمسح عنها الدهشة  
الإطار ينسى، الزجاج لا يأتي

(٧)

الدخانُ في صدره

النارُ في فمه

الغربةُ قبلهُ بينهما

هكذا يَصِفُ ما يسميه طقسَ الحنين

(٨)

الغربةُ

ليلٌ يهرب النومُ منه



(٩)

الغربةُ

حلمٌ يُغادر في شهوة النوم

(١٠)

الغربةُ

دمعةٌ في عين الأغنيات عن الأحبة

(۱۱)

الغربةُ

تَقَلُّبُكَ عَلَى وَسَادَةِ الذِّكْرِيَّاتِ

(١٢)

الغربةُ

وجهُ حبيبٍ توزَّعه على الوجوه

(١٣)

الغربةُ

صوتك الغافي على صمت الحذاء



## يسأل كمن لا يجيب

(١)

لماذا لا أجدي  
وأنا الذي اتبعتُ كلَّ الطرق؟

(٢)

كيف للغريب أن يحيا

وفي قلبه

قبرٌ

وقصيدة؟



(٣)

سائلاً صديقه الشيخ الطاعن في الذكريات  
الكرسي العتيق الذي نسي يوم ولادته:  
ألا ترى أن معنك قاربٌ يطفو على الشك،  
قبل أن يغرق في شبرٍ يُشبه الوهم؟

(٤)

بعد أن غادرت ما ظنّها جذوة الفرح  
يُسامر قبره:

لم لا نحيا بدهشة الفراشات  
لم نأبه بالنهاية الموشومة بشيء يشبه العدم؟

(٥)

يسقي نخلةً نُبِّيَ أنه يُصلب عليها

يسمعها في المساء وفي جوفها عزاء:

لماذا يحبّ الألم؟

أيّ سرٍّ ذاك الذي في النحيب؟

أيّ مرسةٍ هي الحزن؟

أيّ رئةٍ هذا البحرُ الذي يمجّ فيك؟



## مكتبة

t.me/soramnqraa

أشحد سكيناً تُسرح فيه قسامات الليل، نصله البارد  
لا يُطفئ تنهد الفراشة في الخريف، تنفخ الأيام نارك  
الموقدة في رمشك. رتاك هيكلان من زجاج يحمل  
إرث اللهب والرمل، أنت لا تعلم أيّ دغلٍ يُوغر  
فيك، وأيّ عُشبٍ يتنفس الحجر المتيقظ في صدرك،  
يلمسك القش الذي يهرول ناحية الجدول مثل  
كرة. الريح تخدش النافذة، تحك جلدّها الموشوم  
بالحصى، صوتٌ يُشبه الحشرة، يدك القابضة  
على الدم في عروقك تشتهي التوهج والنفير. تحوم  
حول قَبسٍ يُشبه نجمةً تهبط نحوك. وأين الطير  
الذي يشتاق للسرب سكينك الذي تشحد فيه ليلاً  
منزوع الملامح، نصلاً يزحف نحو الغمد الذي  
يدعونه قلبك.

كان يلتحفُ البحر  
مبتلعاً الملحَ دون الماء  
استيقظتُ رثاه  
وأصداءُ بحارةٍ غرقى يُنشدون الموت  
كأنَّ أصواتهم تودّع أحلامهم  
.. هناك هناك ..  
في الضفة الأخرى ..  
لم يكن سوى قمرٍ وحيدٍ يسحب الموجَ من خاصرته



محمد العتّابي  
هروب الرّيح من مدن الحجارة



9 789921 723113

منشورات تكوين  
TAKWEEN PUBLISHING

